المقدمة

أصدر هذه المقدمة بقول أستاذنا الراحل مصطفى ناصف ـ رحمه الله ـ بأنه لا بد من الحذر أو افتراضٍ أساسى بأننا نخطئ أحيانًا فى تقدير بعض وظائف القول، وكثير من النقاش الذى يدور بين الكُتَّاب فى الصحف والمجلات يدور حول المزاعم المتجددة بأن بعض القراء يشوهون الكلام، أو يشوهون الاهتمام المصاحب للأفكار، أو يخطئون تقدير علاقة الكتاب بهم، أو يخطئون فى مقاصدهم.

وانطلاقًا من السابق، فإن إمكانات سوء الفهم الواقع لا تشغل ما ينبغى لها من الدراسة والتحليل، والغرور يزين لنا أحيانًا أننا نملك قوى طبيعية تمكننا من النجاح دون حاجة إلى أدوات أو إجراءات تسعفنا فى الفهم، وتكشف لنا المستور داخل لبنات النصوص والخطابات المختلفة. قضيتنا إذن هى القول بكافة صوره وأركانه والمشاركين فيه وحالية إنتاجه ومقامات التواصل وحدود الاتصال والمقويات الموجهة للمتحدث والمقويات الموجهة للمتلقى.. والمحددات الأسلوبية التى تطغى فى قول على آخر.. والقضايا الإنجازية المقصودة من وراء صناعة القول وإنتاجه.

وفى إحكام النقاط السابقة تكون قدرتنا على الفهم والتجلية، والبناء لا الهدم فى وقت غدت فيه الكلمات بانية حضارة وداعمة نهضة.. وللوصول إلى آلية الإحكام كان طرحنا بين طيات هذا الكتاب، الذى يكشف بجلاء ـ أكثر من خطاب، كان الاختلاف بينها ملمحًا مقصودًا حال الانتقاء للبحث والتحليل، سواءً على مستوى نوع الخطاب أو موضوعه أو ما قدمه صاحبه من إسهام حضارى وفكرى.. وقد يلحظ القارئ الكريم تنوع إجراءات التحليل، وقد يلحظ أيضًا نوعًا من التلاقى

obeikandi.com

بين إجراءات التحليل فى بعض النصوص، وقد يلحظ أيضًا وقوفًا على آلية ثم توسعتها واستجلاء مكانها فى موضع آخر، وكل ذلك إجراءات تفرضها طبيعة كل خطاب، مع النص، بكل وضوح فإن آلية واحدة لا تكفى للكشف عن مضمون الخطاب لأنه نص منجز أنتج فى سياق معين وسط آليات تواصلية معينة بأفكار مقصودة، وأخرى متروكة لأسباب، منها شواغلنا السياسية أو حواسنا المختلفة أو مناقشاتنا الدينية أو واقعنا الثقافى، ومن ثم تتنوع الإجراءات، ويعلو سقف التحليل بالكشف والإظهار والتقييم والتقويم والمحاكمة الفكرية. فى الكتاب أربعة خطابات مختلفة الموضوع، وطريقة البناء، وكلها تقوم مثالًا على نوعية خطاب، تصلح أن تكون مطية لدراسات أخرى تنطلق من فرضية التحليل وأفق الكشف، سواء بالنقد أو الزيادة أو التوسعة أو النصح، وكلها رغبات تبنى بنيانًا مرصوصًا يشد بعضه بعضًا.

فى البدء قدمنا مثالًا على الخطاب الفلسفى المنطق لفيلسوف وجودى كبير انتصر للفكر أو التراث العربى، ووازن بين معطيات العلم ودور الدين، فصاغ نظرية فلسفية عربية رائدة كان النهل من التراث منطلقها، والإفادة من معطيات العلوم العربية من أسسها، واحترام مبادئ الدين عمادها. ثم الانتقال إلى شاعر أسهم فى الثقافة المصرية بدور كبير عبر العديد من القصائد الوطنية والغزلية، امتاز شعره بالرقة واللين وبساطة التركيب وهو الشاعر فاروق جويدة.

ولأن الكلمات تمثل عالمًا يتكون من الاختلاف والتشابه، وتمثل أيضًا سعيًا نحو استخلاص "مبادئ"فى عالم متغير، طمحنا إلى استجلاء معطيات خطاب ملغز وشاق وهو الخطاب الرمزى لشعراء العشق الإلهى.. هناك فى رباطات وزوايا الشيوخ ينتج خطاب آخر، يبتعد عن السلطة والإعلامية، يكشف عن عبقرية اللغة وروعة الأداء، فى ذلك وقفنا على ديوان العشق مذهبى للشاعر الأزهرى أحمد إسماعيل وهو يمدح شيخه صلاح الدين التجانى الحسنى رضى الله عنه، وصولًا لاستجلاء الجملة الشعرية وبراعة تركيبها، وعنايتها الكبرى بدنيا المثل والأخلاق الفاضلة.

ثم ـ وفى النهاية ـ العرض للخطاب الملحمى بالتحليل وطريقة البناء. وهو مدخل لم يسبق إليه، عبر التدليل بدرة أعمال أديب العربية الأشهر نجيب محفوظ، والذى عرضنا لخطابه بالتحليل ثم الكشف عن أثر البنية التركيبية الثابتة فى صوغ خطابه وأفق التلقى.

أما عن الكتاب إجمالًا فهو تتمة لثلاثة أعمال لغوية تم إصدارها اهتمت بعالم الإبداع والمبدعين تحليلًا للخطاب، ورصدًا للظواهر اللغوية، عرض الأول منها للنمط اللغوى الثابت فى لغة نجيب محفوظ، واهتم الثانى بتحليل الخطاب السياسى فى لغة الأستاذ محمود شاكر، أما الأخير فهو الذى شرف بأن يكون بين يدى القارئ الكريم. والله الموفق.

المؤلف

للتواصل: hamdy_ebrahem@yahoo.com

obeikandl.com